

بسام الصالحي*

ديمقراطية مميزة

داخل الجامعة يقوم على التعددية والاحترام المتبادل والممارسة الديمقراطية، وعلى حرية البحث العلمي والتفكير، وعلى مساندة المبادرات الذاتية وتطويرها، وعلى السعي الحثيث من أجل استقلالية التعليم العالي وحمايته.

وتعرضت هذه الفلسفة التي تقوم أساساً على استقلالية الجامعة، لاختبارات ومواجهات متعددة أبرزها التصدي لمسعى الاحتلال الإسرائيلي المتواصل للتدخل في شؤون التعليم العالي، إذ حاولت إدارة الحكم العسكري والإدارة المدنية الإسرائيلية أن تفرض التعليمات والأوامر بشأن مواد التعليم أو التدخل في وضع الأسرة التعليمية أو في وضع القيود على أنشطة الجامعة وخصوصاً أنشطتها الطلابية، وكان تصدّي الجامعة لذلك أمراً مبدئياً توحد حوله مجتمع الجامعة بأسرها. وكان موقف الدكتور جابي واضحاً لا لبس فيه في رفض هذه التدخلات كلها، وفي الوقت ذاته المثابرة على حماية الجامعة من إجراءات الاحتلال، وخصوصاً الحيلولة دون إلغاء ترخيص الجامعة، وهو الشبح الذي كان يخيم دائماً على جامعة بيرزيت.

وإذ لم ينجح الدكتور جابي ومجتمع الجامعة في منع الإغلاقات الإسرائيلية

يمثل فقدان الدكتور جابي برامكي، أحد أبرز رموز التعليم العالي في فلسطين، خسارة كبيرة لكل من عرفه، وللشعب الفلسطيني الذي عمل الدكتور جابي على خدمته في جميع المواقع التي شغلها، وبإخلاص وطني عال وإنسانية رفيقة كانا يميزان مواقفه وعلاقاته كافة. إن تجربة التعليم العالي في فلسطين تجربة غنية، وقد أدت جامعة بيرزيت دوراً محورياً في تحديد العلامات المميزة لهذه التجربة التي ما كان لها أن تتكسر لولا التكامل في الأدوار بين الأطراف المكونة للجامعة من طلبة وأساتذة وعاملين، ومن إدارة وجدت نفسها أمام تحديات واستحقاقات جعلت من موقفها في التعامل مع هذه التحديات، عنصراً حاسماً في سلاسة تطور فلسفة التعليم العالي في فلسطين. وفي هذه المحطة بالذات برزت المساهمات الخاصة للدكتور جابي برامكي، إذ إنه على الرغم من جميع التحديات والتباينات التي صادفت مجتمعاً حيويًا كمجتمع جامعة بيرزيت، نجح في تكريس منهج للعلاقات

* أمين عام حزب الشعب الفلسطيني، وطالب سابق في جامعة بيرزيت.

الوطنية الفلسطينية.

ولا شك في أن هذه العملية لم تكن سهلة، إذ واجهت مقاربات جديدة بعد نشوء السلطة الوطنية، لا تخلو من تعقيد في العلاقة بين الدفاع عن استقلالية التعليم والجامعة من جهة، وبين رغبة السلطة في السيطرة والتدخل والرقابة من جهة أخرى. غير أن موقف الدكتور جابي برامكي من ذلك ومن فلسفة التعليم العالي برمته ظل متسقاً في اتجاه الحفاظ على استقلالية الجامعة كمظهر لاستقلالية العليم العالي، إذ إنه آمن دائماً بأن أثر ذلك لا يقتصر على الجامعة وحدها، بل يمتد إلى فضاء مجتمعي أوسع أيضاً.

ومن حق التيار الديمقراطي الفلسطيني أن يعتز بمكانة الدكتور جابي برامكي المميزة في بناء التجربة الديمقراطية الفلسطينية في الجامعات، وفي مساهماته في تعزيز فلسفة التعليم العالي على ذلك الأساس، وهو الدور الذي مارسه بإخلاص شديد إلى جانب اهتماماته الوطنية الأخرى.

ومن حق الدكتور جابي أن يفخر بنجاح الفلسفة التي تبناها في هذا المجال، وبوفاء كثيرين من زملائه وتلاميذه لتلك التجربة الغنية، عبر السعي للحفاظ على هذه الفلسفة وتعميقها، إذ تؤكد التجارب يوماً بعد يوم أن الروح الحية لهذه الفلسفة، على الرغم من جميع الصعوبات، لا تزال ماثلة في تجربة الشعب الفلسطيني، وفي تجربة الشعوب الحية بأسرها. ■

المتكررة لجامعة بيرزيت أو لمؤسسات التعليم العالي الأخرى، إلاّ إنهما نجحا بفضل الصلابة والحنكة التي تعامل بها الدكتور جابي، في المحافظة على ترخيص الجامعة واستمراريتها في أحلك الأوضاع، وفي كسب المؤيدين والمتضامنين الدوليين مع الجامعة والتعليم العالي في فلسطين، الأمر الذي ساعد في مواجهة الإجراءات الإسرائيلية المتعددة ضد الجامعات الفلسطينية.

ويمكن في هذا الصدد عرض أمثلة كثيرة للمواجهات والمعارك والمناورات التي خاضها الدكتور جابي لمنع اقتحام الجامعة، أو لحماية طلبتها، أو للتصدي للقرار ٨٥٤، أو لمنع إغلاق الجامعة، أو لحماية أنشطتها الوطنية العامة، أو لدعم ظاهرة العمل التطوعي التي رسختها جامعة بيرزيت، أو في التعويض عن الإغلاقات بإعطاء الدروس خارج الجامعة، وعشرات النماذج التي كانت تعكس روح التحدي والإبداع لمجتمع جامعة بيرزيت من جهة، وروح الانسجام العالي في مواجهة المخاطر من جهة أخرى.

إن الدفاع عن استقلالية الجامعة، على أساس تعميق الممارسة الديمقراطية، ترك بصماته بقوة على فلسفة التعليم العالي في فلسطين، وهي الفلسفة التي سعى الدكتور جابي برامكي لتكريسها على الرغم من ظروف الاحتلال وممارساته، وهي الفلسفة ذاتها التي سعى لتطويرها والنهوض بها من خلال المواقع التي شغلها بعد نشوء السلطة